ابن سينا الطبيب في التراث الاسلامي وانجازاته في بعض مجالات الصحة العامة والتربية الصحية

*أ.م.د. الهام اسماعيل محمد شلبي

مقدمة البحث :

للطب في التراث الاسلامي مكانه خاصة تفرد بها عن العلوم الطبيعية والتجريبية الأخري. فإهتمام المسلمين بالطب علي مر عصور الازدهار بلغ درجة كبيرة فاقت ما ناله الطب في الحضارة الاسلامية، ولعل ذلك يرجع الي اسباب عديدة منها اهتمام الدين الاسلامي في تعاليمه الاساسية بصحة الانسان علي اعتباره أشرف المخلوقات، وعلي اعتبار الجسد وعاء الروح، ومنها أيضا المنهج العلمي التجريبي الذي كان للعلماء المسلمين الفضل الأكبر في ابتكاره.

ومن أوجه تفرد علم الطب الاسلامي هو إهتمام المسلمين بتاريخ الطب والأطباء. وما كتب في هذه الأمور، وما صنف في طبقات الحكماء والأطباء علي مر العصور خير دليل علي هذا القول (٤:٣٦:٣٧).

* استاذ مساعد بقسم المواد الصحية، كلية التربية الرياضية للبنين بالقاهرة

لذلك فإن القيام بالابحاث العلمية في هذا الصدد انما يمثل امتدادا عصريا جديدا لإهتمام حضاري قديم، كما ان في التراث الاسلامي الكثير مما هو حرى بالدراسة، ومما هو جدير بالاستفادة منه في حياتنا المعاصرة.

واليوم حينما نحاول فحص الحركات التاريخية والفكرية للطب الاسلامي التي يعود تاريخها الي القرن التاسع الميلادي فإن هناك الباحثين البارزين منهم الرازي، وعلي بن عباس المجوسي ، والزهراوي، وابو الفرج بن القف، والطبري، وابو الريحان محمد البيروني، وابن النفيس وابن رشد، وابو علي ابن الحسن الهيثم، وعمار الموصلي، ابو علي ابن الحسن ابن سينا.

هؤلاء الرجال الذين صنعوا العصر الذهبي للطب الاسلامي خلال القرنين العاشر والحادي عشر.. هؤلاء العباقرة قد فسروا الطب القديم لابقراط، وجالينوس، ولكن قدرهم يكمن في الاساليب العلاجية التي قامت علي الملاحظات الاصلية والواقعية. هؤلاء الرجال شمل اهتمامهم كافة نواحي المعرفة، والحقيقة ان المؤسسين الأول للطب العربي كانوا من الفرس والمسيحيين والعرب وغيرهم وان العامل المشترك بينهم انهم قد عاشوا جميعا في ظل الحضارة الاسلامية.

لقد كان للطب في الاسلام شأن كبير، وظهر من بين المسلمين عدد من علماء الطب كانوا في طليعة الرواد الأوائل من العلماء الذين وضعوا كثيرا من الأسس في هذا الحقل العلمي الحيوى من حقول المعرفة الإنسانية، واثروا المكتبة التاريخية بالعديد من الكتب التي ظلت نبراسا يهتدي به ويرتكز عليه الي يومنا هذا.

ويعتبر ابن سينا الذي لقب بالشيخ الرئيس في الشرق ، وأمير الاطباء في الغرب (٨:١) ، ظاهرة عبقرية علمية عالمية تستحق الدراسة فهذه الشخصية الفذة أثرت المسيرة البشرية، وأعطت بسخاء المجتمع الانساني في أكثر من حقل من حقول المعرفة، وتركت خلفها تراثا عظيما في مجال الطب.. وان احياء هذا التراث يعد نوعا من الجهاد.. جهاد في سبيل احقاق الحق ورد كل فضل الي اهله.. وليكن طريقنا دائما ان نسلك الاسلوب العلمي متبعين لغة العصر، حتي نتمكن من مقارعة الفكر بالفكر، والحجة بالحجة.. في عالم لا يعترف الا بالوسيلة العلمية سبيلا لإثبات أي قضية.

مما سبق يتضح لنا أهمية التعرف علي ما تحتويه كنوز المعرفة في تراث الطب الاسلامي ، وما تركه الرواد المسلمين الاوائل لفتح الطريق امام علماء المسلمين كي ينهلوا من هذه الكنوز وتحقيقها بالمنهج العلمي مسترشدين بهدى الاسلام ، ولنبين للعالم ان فضل الاسلام لا يكمن في تكوين نفس نقية محبة للخير فحسب، وانما في خلق علماء يسعون الي اسعاد المجتمع بالعلم النافع عامة ،

والعلوم الطبية بوجه خاص. وصدق الله تعالي :

"وما ارسلناك الا رحمة للعالمين"

هدف الدراسة :

تأتي هذه الدراسة بهدف إلقاء الضوء علي الخدمات والانجازات الجليلة التي اسداها ابن سينا في مجال الطب من أجل إعادة تنظيم الطب الاسلامي علي أسس تقنية وعلمية ، وعلي أساس مبادئ البحث العلمي التي يمكن أن يكون لها وقع ثوري.

وقد اعتمدت الدراسة الحالية علي السجلات الرسمية المكتوبة وكنوع من الوثائق التي تمثل المصادر التاريخية الأولية ، وهي مخطوطة لكتاب ابن سينا (القانون في الطب) (ملحق رقم ١) ومخطوطة الارجوزة الطبية التي نسخها ابن سينا كشاعر ملحق رقم (٢) ، (١٨٧:١٩)، بالاضافة الي البحوث العديدة التي تناولت ابن سينا والطب السيناوي (فلسفته ومنهجه) والدور العظيم الذي قدمه ابن سينا للطب الاسلامي والذي ظل منارا يهتدي به علي مر العصور.

وتركز هذه الدراسة علي العالم والطبيب الفذ ابن سينا من خلال أربعة منطلقات هي :-

المنطلق الأول :- بعض الحقائق عن حياته وأعماله.

المنطلق الثاني :- الطب السيناوي - فلسفته ومنهجه (بحسب كتاب القانون)

المنطلق الثالث :- دراسة لمخطوطة كتاب " القانون في الطب"، ومخطوطة الأرجوزة الطبية.

المنطلق الرابع : إنجازات إبن سينا في بعض مجالات الصحة العامة والتربية الصحية.

المنطلق الأول :- بعض الحقائق عن حياته وفلسفته:

الأسم واللقب : - هو ابن علي الحسين بن عبد الله بن سينا والملقب بالشيخ الرئيس في الشرق ، وأمير الأطباء في الغرب ولد ابن سينا منذ ألف عام في أفشنه بقرب بخاري في تركستان التي تعرف اليوم بإسم ازبكستان في دول الكومنولث، وكانت مركزا ثقافيا إسلاميا في الفترة من القرن السابع الي القرن العاشر الميلادي. وكان ابن سينا مفكرا وكاتبا وعبقريا. لقد كتب في حياته التي امتدت ٥٧ عاما أكثر من مائتي كتاب ، وكان أول إنتاج عظيم له كتاب (الشفاء) ،

وفيه شرح نظرياته التي بناها علي أفكار أرسطو. أما أكثر كتبه شهرة في الطب فهو (القانون) ويحوي أكثر من مليون كلمة (١٥٥:١).

كان ابن سينا علي اتصال بالمفكرين والعلماء امثال عبد الرحمن البيروني ، وابو نصر الاراك ، وفي هذه الحقبة بدأت المناظرات العلمية بينه وبين البيروني في الطبيعة والفلك.

ان كتابات ابن سينا في فروع الطب المختلفة كثيرة فهو من رواد الطب النفسي البدني السيكوسوماتيك.

في دراسة قام بها احسان دوغروماجي - تركيا - ١٩٨١ بعنوان :

"بعض الحقائق عن حياة وأعمال ابن سينا" أوضحت الدراسة ان ابن سينا نجح في وصف الأمراض بدقة متناهية مثل التيتانوس ، والسل ، وذات الجنب ، كذلك كتب في قانون الطب ، والتعاريف الطبية والنبض، وكان ابن سينا اول من شخص مرض التهاب العصب الخامس ، وفرق بين أنواع شلل الوجه المختلفة ، كذلك كتب عن تأثير بؤبؤ العين بالضوء ، ووصف عضلات العين السته ، كما وصف التهاب السحايا وصفا اكلينيكا مفصلا مع اعراضه المختلفة ، وقد أدرك أهمية الرضاعة الطبيعية للمولود والأم ، ووضع قائمة لأحسن الطرق للرضاعة، وذلك من خلال كتابه عن تدبير الحبالي والصبيان (١٥٧:١).

وأشار البحث إلي ما كتبه جرونر Growner في رسالته عن طب ابن سينا التي نشرت في لندن ١٩٣٠م ، أن إنجازات ابن سينا الطبية وأفكاره هي ما يعتبره البعض الآن إنجازات حديثة ، ومنها العلاقة القوية بين المشاعر والتغيرات الجسدية، وفسيولوچية النوم ، وأهمية تنقية مياه الشرب وتأثير المناخ علي الأمراض، وأهمية إتباع نظام في الطعام، وإدخال العقاقير في مجري البول، واستعمال الحمام المهبلي ، وإستعمال التحدير بالفم، واختبار مدي قوة العقار بالتجربة من الشرج ، وعلاج الأمراض العقلية بإستعمال الملاريا المفتعلة(١٥٧:١).

كما أشار البحث إلي أن كتاب القانون يحتوي علاوة علي المعلومات الطبية أجزاء خصصت للصيدلة ، بالرغم من أن ذلك العصر لم يعرف بعد الصيدلة كعلم مستقل بذاته. وصنف ابن سينا العقاقير تبعا للون والرائحة والتأثير ففي الطعم جعل ثماني مجموعات ، وبالتأثير صنفها الي ٤١ مجموعة، كما ذكر ابن سينا الأخطاء التي يمكن ان تحدث اثناء العقاقير والتغيرات التي تنتج عن طبخها وتسخينها ، ثم شرح طرق تحضيرها بمنهاج صحيح مثل الطحن والعجن والتكسير والتسخين .. الخ كما شرح الفرق بين العقاقير المركبة والعقاقير البسيطة، واشتمل هذا الجزء في كتاب القانون اثني عشر مقالا. وشمل بجانب العقاقير

أنواع الترياقات المضادة للسموم ، وكيفية حفظ الفواكه والمربي والحبوب والزيوت والمراهم وكذلك طرق التخزين السليم ، ثم يتبع هذا مناقشة مفصلة عن الاستعمال السليم للعقاقير لكل عضو من الجسم المختلفة ولكل مرض منفصلا والكميات السليمة تبعا لمرحلة المرض ،في المرحلة الأولي يصف الدواء الواقي ، وفي المراحل المتأخرة الأدوية المعالة ورسالته الالواحية توضح ذلك ، وفي حالة عدم القدرة علي تشخيص العلاج السليم يصف في بادئ الأمر دواء مسكنا للأعراض حتي يتم التعرف علي التشخيص السليم ، وقام ابن سينا بتحضير ترياقين مضادين للسموم وبتحضير بعض العقاقير التي جعلت منه علامة في تاريخ الصيدلة. (١٥٨:١).

في دراسة قام بها المهدي بن عبود - المغرب - ابن سينا ومدرسته الشمولية من زاوية الطب ١٩٨٠ وأشار البحث الي أن ابن سينا هو نموذج الرجل المسلم الحذر الذي يعيش رغبة ورهبة خوفا اولا من تقصيره فيما يتعلق في مجاهدة النفس ، فهو يعرض لنا الانسان السوى ، ومن ناحية أخري يعرض لنا الإنسان المريض من الناحية الجسمانية بكيفية أدهشت الرأي العام في وقته ، وفي وقتنا هذا بجانب هذا يري في الإنسان أنه مركب وهذا المركب هو مركب من ناحية جسمانية ومن ناحية نفسانية تكون قابلة لما تقبله النفس الامارة بالسوء الي النفس اللوامة، الي المطمئنة الي الراضية الي المرضية الي غير ذلك ومن ناحية ثالثة هو مركب من عقل ينبغي ان نصاغ الي تأثير المعلومات في قالبه. وأوضح البحث ان ابن سينا هي النظرة التي تجمع تشتت الانسان وتحميه من ما يسمي اليوم بالامراض النفافية (سيكوزس) بالمقابل للامراض الدهانية او الامراض النفسية (نيروزس). وان كثير من الغربيين اتبعوا نهج ابن سينا فيما يتعلق بتصور الانسان علي شكلة المجتمع الشامل وأشهرهم عند الفرنسيين الكسكسكارول في كتابه الانسان ذلك المجهول.

وفي رسالته الصغيرة الطبية والمدروسة دراسة طبية عن الصلاة، وكتاب للطبيب الامريكي (مودي Raymond Moody, M.D) الذي اشتهر بكتابه Life after life عن ارجاع الطمانينة الي النفس عن طريق الابتسامة والابتسامة هي بالنسبة للاسلام هو عنوان الرضا فيما يتعلق بالتوافق مع حكمة الله سبحانه وتعالي.

وأوضح البحث ان امراض العصر الحديث مثل القرحة المعدية ، وارتفاع ضغط الدم ومرض السكر، والاضطرابات الدموية والجسمانية ، والقلق والضجر من اهم اسبابه الاقلاع عن العامل الرابع للمركب الانساني الجسماني العقلاني وهذا العامل الرابع هو الروحاني وبابه هو الايمان بالله سبحانه وتعالي. واختتم الباحث بحثه

بعدة توصيات اهمها :-

اننا ملزمين علي ان تعرض لتلاميذنا بالابتدائي قصة حياة ابن سينا علي شكل قصص ، او في الثانوي علي شكل نصوص، او في الجامعة علي شكل رسالات شخصيات ابن سينا العلمية الجامعة التي تحاول لملمة شتات الانسان الذي مزقته المادة الجافة التي تعيش فيها اليوم (١٢:١٦١:١٦٢).

المنطلق الثاني :-

الطب السيناوي - فلسفته ومنهجه (بحسب كتاب القانون) :-

في دراسة قام بهامحمد عبد الهادي ابو ريده - الكويت ١٩٨١ بعنوان الطب السيناوي - فلسفته ومنهجه (بحسب كتاب القانون) أوضح ان الشيخ الرئيس ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا يتبوأ مكانا رفيعا بين فلاسفة الإنسانية واطبائها ، وهو اذا كان فذا بين فلاسفة الاسلام، فهو فذ ايضا بين اطبائه، وكان من اساتذة الانسانية في الشرق والغرب وكانت كتبه ولا تزال مصادر للمعرفة ، وموضوعات للدراسة والبحث التي يمكن ان تؤخذ منها لا تنتهي، سواء في ذلك مؤلفاته الفلسفية والطبية.

واظهر البحث أهمية كتاب "القانون في الطب" ومحتوياته، وهو كتاب ضخم قدر ما فيه بنحو مليون كلمة، وقد طبع في مصر (بولاق ١٢٩٤هـ - في ثلاث مجلدات - أكثر من ١٥٠٠ صفحة ثم طبع في ايران علي الحجر ١٢٩٥ هـ - وأعيدت طبعه بولاق حديثا - بيروت - دار صادر.. ويشتمل كتاب القانون علي القوانين الكلية والجزئية اشتمالا يجمع بين الشرح والاختصار، والي إبقاء الأكثر حقه في البيان الايجاز. وهو في الحقيقة شامل لصناعة الطب بقسميها النظري والعملي، وتدل على ذلك أقسامه الكبري التي يسمي كل منها كتابا.

الكتاب الأول :- في الأمور الكلية، وهو يشمل بعد المقدمات الفلسفية العلمية، علي تشريح الأعضاء المفرودة، والامراض والاسباب والاعراض ، وتدبير المولود والطفل والشيخ والبالغ ، وعلي التدبير في احوال الانتقال ، وتصنيف وجوده المعالجات.

الكتاب الثاني :- في الأدوية المفردة.

الكتاب الثالث : في الامراض الجزئية التي تخص كل عضو علي حدة، مع بيان علاجها ، وفيه تشرح العضو وبيان كيفية حفظ صحته.

الكتاب الرابع : في الامراض الجزئية التي لا تخص عضوا معينا ، وفي الزينه

وهويهتم بالزينة ويعالج كل ما يشوب الجمال، ويعني بالحسن في شتي الوجوه :- في الشعر والجلد، والرشاقة والقد ، حتي ليبين كل ما يبطئ بالمشيب.

الكتاب الخامس : في الأدوية المركبة - وهو الاقراباذين .

وأوضح البحث ان ابن سينا في كتابه "القانون" كان في بيانه للموضوعات يبتدئ بالأمور العامة الكلية ثم يدخل في التفاصيل الجزئية وهو ينبه الي ذلك دائما. ويدل كلام الشيخ الرئيس في مقدمة كتاب القانون الي أنه قصد من كتابه ان يكون لتعليم الطب وللعلاج في وقت واحد، وممالة دلالته في هذا الصدد، أنه بقسم فنون الكتب الي تعاليم : التعليم الأول، التعليم الثاني وهكذا.. هذا من جهة ومن جهة أخري فإنه يصرح في المقدمة بأن من يدعي معرفة الطب ويريد مزاولته ليتكسب به فإن عليه ان يحيط بجملة ما في الكتاب فإنه مشتمل علي أقل ما لابد منه للطبيب ، واما الزيادة عليه فأمر مضبوط (١٦٥:٢٠).

وتتجلي قيمة هذا الكتاب العظيم عن المقارنة بينه وبين كتب أخري فهو كتاب أكاديمي بالمعني الكامل، وكتاب تعليم بالمعني الكامل، فهو عندما يتناول الموضوع يبتدئ بالتعريف العلمي المنطقي، ويشرح المصطلح أولا فيذكر المعني الأصلي للفظ ثم المعني الاصطلاحي وإذا كان أصل المصطلح يونانيا مثلا ذكر المعني الأول ثم تطوره في الاستعمال عند اليونان، وهو يقدم الاحكام الكلية علي الجزئية، وفي العلاج المتنوع المظاهر يقدم العلاج الكلي علي التفصيلي ويشرح، ويبحث عن السبب، ويشخص، ويصف الدواء ، وعناصر تركيبه بل يدخل احيانا في تفاصيل التطبيق، فيبين بالرسم طريقة ربط الجراحات (مجلد ٣ ص١٥٢) ويمكن أخذ معجم كامل لمصطلحات الطب الشرعي من كلام الشيخ الرئيس في شتي المواضع.

والخلاصة ان الكتاب في جملته كل مترابط، والمؤلف يشير في الاجزاء التالية الي ما قبلها. وهو ليس مجرد ناقل بل هو ينقد ويمحص فهو مثلا، في كلامه عن حمي الدم (مجلد٣ ص٢٩-٤٠) يذكر رأي جالينوس في أنها لا تكون عن عفونة الدم ورأي بقراط المخالف لذلك، ويبحث الرأيين بحثا تحليليا في ضوء المنطق ومشاهرة الواقع، بل هو يبين تناقض جالينوس في أرائه.(١٦٧:٢٠).

وقد عبر أحد المؤلفين الاسلاميين وهو "نظامي عروضي المسرقندي" عن تقديره لكتاب "القانون في الطب" لابن سينا في كتابه "جهاز مقاله" (١١٩:١٥١) الذي ألفه حوالي ٥٥٠هـ .. بعد وفاة الشيخ الرئيس بأكثر من قرن، قوله ان من يحيط علما بما في المجلد الأول من "القانون" لا يخفي عليه شيئ من أصول علم الطب وكلياته. ولو بعث بقراط وجالينوس الي الحياة لحق لهما أن يسجدا لهذا الكتاب.(١١٩:١٥). والمجلد الأول هو المشتمل علي الأمور الكلية في الطب، كما ان مؤرخو الطب من

العلماء والمحدثين - اسلاميين ومستشرفين - وان لم يعبروا عن تقديرهم لكتاب "القانون" كما عبر المؤلف الاسلامي " نظامي عروض" - الا أنهم يعترفون بما أضافه الشيخ الرئيس من إبتكار في الطب وبما كان لكتابه القانون من شأن جعل بعض الاطباء المحدثين يري في شخص ابن سينا "فلته من فلتات العبقرية" .. (١٦ك ١١٠-١١٩).

دراسة قام بها كل من محمد سعيد ، وسعدية راشد بباكستان ١٩٧٩ بعنوان "ابن سينا - طبيب وفيلسوف وعالم " يهدف إلقاء الضوء علي حياة وإنجازات ابن سينا في الفلسفة والطب.. وأظهر البحث ان ابن سينا يمثل خلال العصور عقلية فريدة من نوعها يقابلها في الغرب شخصية القديم "توماس اكوينز" ولكن بينما وجد "اكونيز" البيرتوماجنوس" ليرشده فإن ابن سينا لم يجد احد بل هو يفوق "اكوينز"في نواح كثيرة (١٩: ١٨٠).

وقد أشار البحث الي المعني اللفظي للقانون فهو مجموعة احكام وقوانين وسلسلة من المبادئ، ولهذا فإن ابن سينا لم يكتبه كدائرة معارف تضم معلومات عصره بل معلومات تقوم أساسا علي العقل والمنطق والمبدأ. وكما قال أحد المسئولين (أنه مجموعة فقرات تدل علي أنه سلسلة من الملاحظات او هو هيكل ليس بالطويل جدا، ولهذا يمكن للتلاميذ حفظه) ، ويضم هذا العمل خمسة اجزاء : يشمل الجزء الأول المبادئ العامة وهي تعرف بالطب ثم تنتقل الي شرح الأمزجة والحساسيات كمزاج كل عضو وكل سن وكل جنس وطبيعة الاخلاط المختلفة، وأصل هذه الاخلاط، وأمراض الأعضاء والعضلات والأعصاب والعروق والشرايين، والملكات المختلفة ووظائفها، والامراض وأسبابها وأعراضها وعلاقاتها، ،والنبض والبول والغذاء لمختلف الأعمار، والطب الوقائي ، والتعامل مع الأمزجة وتأثير المناخ والعلاج.

ويشمل الجزء الثاني قسمين :- يتناول القسم الأول، إستنباط مزاج العقار بالتجربة، والتأثير ووضع الشروط اللازمة لإختبار العقاقير والتجارب التي يمكن إجراؤها علي الجسم البشري وخلو العقار من أي تغيرات داخلية أوخارجية ، وعلي أن التجربة يجب ان تكون علي أساس علاج الأعراض وعلي أمراض بسيطة ، ثم نقرر مدي صلاحية العقار من الناحية الكمية والكيفية لعلاج المرض وشدته (١٩:١٨٣) ثم يضع قواعد عامة بالنسبة لمفعول العقاقير وطرق جمعها وحفظها..

أما القسم الثاني فيسرد ٧٦٠ عقارا بالترتيب الأبجدي، ويصف بعض العقاقير الهندية مثل "كباب خاندان" ويشمل وصف العقار النقاط التالية:-

١- التعرف علي العقار.

الجزء المستعمل.

٣- الخصائص المزاجية.

٤- تأثير العقار علي كل جهاز من أجهزة الجسم وعلي أمراض معينة.

٥- تأثيراته النوعية.

٦- هل العقار ترياق ؟

٧- العلاج البديل.

٨- المواد المساعدة لتأثيره.

أما الجزء الثالث من الكتاب فيتناول أسباب الأمراض واعراضها وعلاماتها وتشخيصها ومالها وعلاجها، فعندما يصف أمراض الدماغ يتكلم عن الأمزجة غير الطبيعية في المخ والصداع والصرع والشلل.. الخ .. ثم يضيف أمراض العيون والأنف والأذن والحلق وأمراض الجهاز الهضمي، والجهاز البولي، وأمراض العضلات والمفاصل والأقدام (الجزء الخاص بطب العيون ترجم الي اللاتينية عام ١٩٠٢) (١٨٣:١٩).

أما الجزء الرابع فيتناول الأمراض العامة، ففي القسم الأول يشرح الحميات وعلاجها، وفي القسم الثاني يتكلم عن الدمامل والأورام والجذام والجراحة البسيطة والجروح وعلاجها، والاصابات ، والقرح، وأورام الغدد ، والقسم الثالث يشمل السموم أما القسم الرابع فعن علم الجمال والجزء الخامس في علم الأقرباذين ، وهو لفظ عربي مرادف للتركيبات الدوائية.

ولقد كان تأثير كتاب القانون عظيما. فبعد حوالي قرن من ظهوره تمت ترجمته الي اللاتينية علي يد جيرارد السكريموني" ولقد نال شهرة واسعة لدرجة أنه في خلال الثلاثين سنة الأخيرة في القرن الخامس عشر طبع ست عشرة مرة ، ثم في القرن السادس عشر صدر أكثر من عشرين مرة .. علاوة علي الأجزاء المنفصلة منه ، وظل يطبع ويقرأ في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، ويرجع له الاطباء بإنتظام وظل مرجعا علميا في جامعات مونبليه ولوفان حتي عام ١٦٥٠، وفي القرن السادس عشر كانت المناهج الطبية في فيينا وفرانكفورت تقوم أساسا علي كتاب القانون لإبن سينا والكتاب المنصوري للرازي (١٨٤:١٩).

ويقول افنان عن مدي شهرة القانون :-

ان ترجمة القانون التي قام بها "اندريه الباجو" عام (١٥٢٠) في ايطاليا ثم

تلاها أشكال أخري لنفس الكتاب كانت تدرس في جامعات أوروبا المختلفة خاصة في ايطاليا وفرنسا ولقد فاقت بكثير "ليبرزيجوس" ولم يكتشف الأوربيون أخطاء جالينوس في تركيب الأعضاء والتي وصلت إليهم خلال ابن سينا إلا بعد أن تم التصريح بالتشريح في أوروبا.

وأشار البحث إلي أن ابن سينا أول من وصف طريقة تحضير حامض السلفور والكحول ، كما أن استعمال النبيذ فوق الجرح كان شائعا جدا في العصور الوسطي (١٨٤:١٩) .. وهو أول من توصل إلي الطبيعة المعدية لمرض السل وهو أول من فكر واستعمل التخدير والشوكران وحبوب الخس والثلج والماء البارد، واخترع ابن سينا الاسفنجة المنومة أو المخدرة وهو يشير لعمليات التخدير الحديثة وهي أسفنجة مبللة بروائح مخدرة وذات رائحة قوية، وتمسك قريبه من أنف المريض.

ومن أهم إنجازات ابن سينا تشخيصه أسباب الأمراض وان النفس عنده تمثل النفس الإنسانية المتمشية مع طبيعة المخلوق وهي العامل الذي يحدد نموه ونشاطه، والنظرية الأساسية لإبن سينا تكمن في أن الكل أعظم من مجموع الأجزاء ، وأن الإنسان كائن متحرك ولكل فرد مزاجه الفريد، ولا يمكن تفسير حركته علي أساس التحليل. (١٨٥:١٩).

كما أشار البحث إلي أن ابن سينا استطاع عن طريق هذه المفاهيم أن يضع مبادئ يمكن عن طريقها تفسير الأمراض علي أساس البناء الوراثي للفرد وطبيعة مزاجه ، وتركيبه ومدي قوة الملكات التي يتمتع بها ، العوامل الطبيعية للمحافظة علي سير وظائفه الحيوية.

وأوضحت هذه الدراسة ان "القانون" يجمع ملاحظات أصيلة وضعها ابن سينا اثناء مزاولته للطب مثل الفرق بين التهاب المنصف وذات الجنب والطبيعة المعدية لمرض الدرن ، وانتشار الامراض عن طريق الماء والتربة والأمراض الجنسية وانحرافاتها ، والامراض العصبية ، ووصف دقيق للأمراض الجلدية. وفي علم التركيبات الدوائية يصف ما يزيد عن ٧٦٠ عقارا .. وأظهرت هذه الدراسة الدور الذي لعبته قصيدة ابن سينا "الارجوزة في الطب" ملحق (٢) والتي وضعت الأسس النظرية وملاحظاته عن مبادئ الممارسة ونصائحه بالنسبة لطرق العلاج ونظام الطعام والتغذية، وكذلك وصفا لبعض العمليات الجراحية البسيطة، وقد ترجمت الي عدة ترجمات لاتينية بين القرن ١٣، ١٧ تحت عنوان " أنشودة ابن سينا" وصدرت لها طبعة باللغة الفرنسية كتبها جاهير وأنور دين" باريس عام ١٩٥٦) تحت عنوان "قصيدة للطب" ومعها ترجمة لاتينية قام بها ارمنجاند (١٨٧:١٩).

دراسة قام بها البيرذكي اسكندر - انجلترا ١٩٨١ بعنوان "دراسة تحليلية لمؤلفات الرازي وابن سينا - مع الإشارة الي أثر كل منهما في تقدم البحوث الطبية - أوضح فيها ان ابن سينا ترك لنا مقالا في سيرته الخاصة وقد طبع هذا المقال عدة مرات باللغة العربية كما ترجم الي اللغة الإنجليزية (٣١) وأشارت الدراسة إلي أن ابن سينا قام بتأليف كتابه "القانون في الطب" في مدينة جرجان ثم كتب جزءا كبيرا منه في الرى، وأتمه في همدان، وقد أعجب بمادة هذا الكتاب جل الأطباء ففضلوه علي مذكرات "الحاوي في الطب" للرازي ، وعلي كتاب كامل الصناعة لعلي بن العباس ، كما فضلوه علي كتاب جالينوس نفسه .. وكان كتاب الكليات أصعب الكتب الخمسة التي يتكون منها كتاب القانون في الفهم وأعقدها مادة. ولذلك فقد أضطر من جاء بعد ابن سينا في الزمان الي كتابه شروح مطولة وتفاسير له قد يقرب عددها من العشرة (٢٥: ٢٦, ٣٥-٣٧).

وأوضحت هذه الدراسة أن ابن سينا قد خصص الفن الأول من الكتاب الأول لتشريح الأعضاء المتشابهة الأجزاء ثم ذكر في الكتاب الثالث تشريح الاعضاء غير متشابهة الاجزاء ، ولم يرق هذا التقسيم لابن النفيس فجمعهما كلها في كتاب واحد أطلق عليه اسم (شرح تشريح القانون) ووصف فيه الدورة الدموية بكل وضوح ولأول مرة في تاريخ العلم (٢٧:٦٠٢-٦٠٦).

وأشارت هذه الدراسة الي أن عنوان كتاب القانون كان عائقا الي حد ما عن تقدم البحوث الطبية ، فقد وصفه بعض المتحمسين من شارحي هذا الكتاب بالكمال ، وأنه لا يمكن إدخال أية تحسينات عليه أو إضافة أي مادة جديدة الي نصوصه (٢٥:٢٧).

كما ركزت هذه الدراسة علي مصادر كتاب القانون وأوضحت أن ابن سينا لم يحدد أسماء الكتب التي قرأها ، وأنه برز في علم الطب في أقل مدة حتي بدأ فضلاء الأطباء يقرون عليه علم الطب ، كما تعهد المرضي وهو ابن ست عشر سنة (١٠:ص٣، ص١٢-١٦).

وفي المكتبة الأهلية بباريس مخطوط لكتاب جالينوس (في فرق الطب للمتعلمين" وفي هذا المخطوط تعليق بخط ابن سينا نفسه، وتاريخه ٤٠٧هـ / ١٠١٦-١٠١٧م ، دخل هذا الكتاب في حوزة ابن سينا ، وكان قد بلغ السابعة والثلاثين من عمره، أي بعد أن برز في علم الطب بزمان طويل (٣٠:٥١٥).

وأشارت هذه الدراسة الى بعض مؤلفات ابن سينا منها مختصر اقليدس (١١) في حفظ الصحة (٦) في العلل والأعراض (٦) وفي حركة العضل، وفي النبض الكبير (٨).

ولكن ابن سينا لم يذكر اطلاقا شروح أو تفاسير كتب القدامي من الاطباء.. ولا يلقي كتاب القانون ضوءا كافيا علي المراجع التي اعتمد عليها المؤلف لذلك أصبح علي القارئ أن يميز بين قول ابن سينا نفسه وما استعاره من كتب الطب (٢٥٢:٥).

وأوصي الباحث بضرورة قيام طلاب الابحاث بدراسات مستفيضة عن مادة كتاب القانون بقصد التعرف علي مصادره الأولي، وأشار الي أن هذه الدراسات تستغرق زمانا طويلا، وتتطلب جهدا كبيرا ، ولا تقتصر أهمية دراسة نصوص هذا الكتاب علي التعرف علي أصول مادته فحسب ، بل ان مثل هذه الدراسات التحليلية قد تؤدي الي إكتشاف أثر ابن سينا نفسه في إنجاز البحوث الطبية التي قام بها الأطباء العرب ، وأطباء دول أوروبا اللاتينية(٢٨).

دراسة قام بها أحمد عروة - الجزائر - ١٩٨٠ بعنوان

"فسيولوچيا التنفس عند ابن سينا" كان الهدف منها إبراز مرحلة مهمة في تفهم وظائف التنفس حسبما أوردها ابن سينا في كتابه "القانون في الطب" وأوضحت الدراسة أن تحاليل ابن سينا احتلت مستوي متقدما لما جاء به الاطباء الأقدمون علي الرغم من أنه لم يكن لديه صورة كاملة عن الدورة الدموية كما وضحها من بعده ابن النفيس، ثم من بعده من الغربيين.

وفضلا عما عرضه ابن سينا في ميادين التشريح العضوي والحركات الآلية لأعضاء التنفس ، ودور الأعصاب المتدخلة فيها، فإنه قد أظهر فطنة بالغة في شرح الوظيفة التنفسية :-

أولا :- في تحليل التبادلات التنفسية الأساسية التي تتحقق في ثلاث عمليات:-

١- إدخال عنصر هوائي جديد يختلط بالدم وتتكون فيه الروح الغريزي.

٢- تنقية الدم من الفضلات الاحترافية، وهي البخار الدخاني والحرارة المحتقنة.

٣- هديل الحرارة بالترويح.

ثانيا :- في إبداء نظرية ان الاستحالة التي تحدث في كيفية الهواء المستنشق لا سيما بمخالطة البخار الدخاني تتحكم في حركات التنفس..

ثالثا :- في تحديد معني ووظيفة الروح الذي يصحب الدم في الشرايين

بمفهوم موفق يقترب مما نصف به اليوم غاز الاكسجين وهو كما يقوم "لطيف متحرك صاعد لا يحتاج الي تنكيس وعائه حتي ينصب"

هاته التحاليل التي توصل اليها ابن سينا تشهد عن التقدم العلمي الكبير الذي احرزه الاطباء العرب والمسلمون في العصور الوسطي، والذي سيتخذه العلماء الغربيون وقليلا ما يعترفون بذلك أساسا وقدوه لبعث النهضة العلمية المعاصرة. (٢٦١:٣).

وأوضحت الدراسة ان وظيفة التنفس كما تبرز في كتاب القانون في الطب، تمثل مرحلة هامة من حيث تفهم الحركات الآلية والتبادلات الكيميائية التي تجري علي مستوي الرئة وعلي مستوي الأعضاء ما بين الجسم والوسط الذي يحيط به.

وقد وصف ابن سينا حركات التنفس بدقة وبين دور العضلات الصدرية وعضلة الحجاب الحاجز فيقول :"في حركة التنفس المعتدل الطبيعي الخالي من الآفة يتم بحركة الحجاب الحاجز فإن احتيج الي زيادة قوه. شارك الحجاب في هذه المعونة عضل الصدر كلها حتي أعاليها". كما وصف ابن سينا بدقة الاعصاب التي تأتي من النخاع وتتصرف في حركات التنفس وأيضا شرح بوضوح دور التغيرات الكيميائية والطبيعية في إنطلاق الحركات التنفسية فيقول والغرض في التنفس ان يملأ الرئة نسيما باردا حتي بعد النبضات القلبية فلا يزال يأخذ منه الهواء البارد ويرد اليه البخار الدخاني الي ان يعرض لذلك المستنشق امران :- احدهما استحالته عند برده بتسخين ما يجاوره وما يخالطه، واستحالته عن صفاته بمخالطة البخار الدخاني له. فحينئذ يزول عنه المعني الذي يصلح لاستعداد النبض منه فيحتاج الى إخراجه والاستبدال منه.

والخلاصة ان النظريات التي يعرضها ابن سينا حول وظيفة التنفس ودورها كظاهرة حياتية أساسية لجديرة بالتعمق فيها أكثر ، حيث أنها تمثل قمة المعرفة في علوم الطب لا في عصر ابن سينا فحسب ولكن بعده قرون .. وانها تمثل حقيقة مرحلة متقدمة تربط بين الطب القديم وبين الطب الحديث إلا أنها تفتقر إلي استخدام المنهج العلمي المنطقي الذي يتميز به في شرح وظيفة التنفس في ارتباطها مع وظيفة الدم ليتخلص تماما من الغلطات الموروثة عن سابقيه. (٢٦٨:٣)

دراسة قام بها أحمد عبد الحى بعنوان : تراث الإسلام في الجراحة الحديثة. "وكان الغرض منها بيان مساهمة الإسلام وتراثه في مجالات الجراحة الحديثة، وأظهرت الدراسة ان ابن سينا هو أول من ذكر بتوسع كبير أنواع ثلاثة من اليرقات (٣٦١:٢)، كما أن له الفضل في إستخدام الكي المعدي وذلك فيما يتعلق بأمراض الجهاز الهضمي ، اما بالنسبة لعلم الأورام فقد أشارت الدراسة الي ان

ابن سينا والزهراوي قد حذرا من استعمال السكين في الأورام الخبيثة، مع التشديد علي ان الأورام الخبيثة يجب أن تزال في جراحة قطع متوسعة والوصول بالحواف الى نسيج حي صحيح سليم معافي. كما ذكروا علاج الأورام الخبيثة بالأدوية والكي. (٣٦٤:١) ، وبالنسبة للعناية بالجروح فقد كان الفضل لابن سينا في ذكر الغيار الجاف. واستعمال الخيوط الجراحية وبنجاح (٣٦٩:٢).

ولعل هذا ما جعل طبيبا معاصرا هو الدكتور "سيرسر" من يوغوسلافيا يقرر بكل صدق ان ابن سينا هو واحد من أكبر الأطباء في كل العصور وأنه مع الزهراوي وابن زهر يكونون اركان هرم الطب الاسلامي (٧٨:١٣).

كما أظهرت الدراسة الوصف العظيم للحنجرة وصفا فاق كل ما قبله في الصحة والدقة، حيث أعطاها صورة تشريحية لا تفترق كثيرا عما نعرفه اليوم عنها ، حيث وصف غضاريفها وعضلاتها والأربطة التي تضمها ، وتعرض لوظائف كل جزء منها، عند الكلام، والتنفس ، والبلع وغير ذلك مما يعرف في يومنا هذا بعلم وظائف الأعضاء (١١٩:٢١٠:١٧).

دراسة قام عبد القادر عبد الجبار - حلب الجمهورية العربية السورية بعنوان "جراحة الجمجمة والدماغ عند الاطباء العرب" بهدف بيان أثر العرب في إرساء قواعد الجراحة في هذا المجال حتي يومنا هذا، وأظهرت الدراسة ان ابن سينا أوضح حقيقة علمية كبيرة في كسور الجمجمة وهي ان عظام الجمجمة اذا كسرت لا تلتئم بالطريقة التي تلتئم فيها باقي عظام الجسم بل تبقي منفصلة وبشكل دائم وما يجمعها ببعضها بعد الكسر نسيج ليفى مجمع فقال : (ما علم ان عظام الرأس تخالف تماما عظاما أخري اذا انكسرت لم تجر الطبيعة عليها شيئا قويا كما تجريه وتثبته علي سائر العظام بل شيئا ضعيفا).

ولقد قسم كسور الجمجمة الى نوعين حسب ترافقهما بالجروح أو عدمه، ويقدر ما أتي ابن سينا علي تصنيف اصابات الجمجمة استفاض بطرق علاجها وقارنها بما تعلمه من الأقدمين ففي الكسور الغائرة والمتفتتة يري ضرورة إجراء تقوية وإزالة العظام الغائرة عن أغلفة المخ فقال : - وان كان العظم ضعيفا من طبعه او من الكسر الذي عرض له فينبغي أن ينزعه بمقاطع يعطي بجذاء بعض ويبتدئ من أعراض ما يكون منها ثم يستبدل منها المقاطع الرفيعة ثم يصير الي الشعرية ويستعمل الرفيع في النقر والضرب لئلا يؤذي الناس ويقلعه وان كان العظم قويا ينبغي اولا ان يثقب بالمثاقب التي تسمي غير غائرة وهي مثاقب يكون لها نتوء قليل. (٣٧٥:١٤). ولم ينس ابن سينا حالة المريض العامة التي قد تسوء من إصابة الجمجمة فأولاها من عنايته فذكر أنه في حال إصابة رأس المريض وغياب وعيه يجب المبادرة الي فصد العرق، كما يجب احداث حالة نقص المياه في الجسم،

وهذا يؤدي الي تخفيف ورم الدماغ ويتبع هذا تحسن المريض فقال : أو استعمل فصد العرق ان لم يكن شئ يمنع من ذلك وإلا فالاخلال من الطعام او التدبير الذي يصلح للأورام الحارة مثل النطل يدهن الورد الحار.

مما سبق نري ان ابن سينا ارسى قواعد هذه الجراحة ثابتة ومستعملة الي اليوم حيث ان العلاج الجيد لارتجاج المخ هو إحداث حالة نقص المياه بالجسم وهذا يخفف من الضغط داخل الجمجمة واليوم تستخدم مدرات البول بدلا من المسهلات (١٤:٣٧٥-٣٧٦).

المنطلق الثالث :

مصادر كتاب القانون :

أوضحت الدراسة التي قام بها البير زكي اسكندر بتحليل مؤلفات ابن سينا ان مخطوطات كتاب القانون كتيب بخط " صاعد بن التلميذ " الطبيب البغدادي المشهور ، حيث كان يمتلك نسخة من كتاب القانون ويذكر انه صححها علي دستور المصنف وعني بها وعلق عليها حواشي له . وان تلك النسخة اشتهرت صحتها وبيعت بعد وفاته ببغداد وانتقلت الي الشام وقد استطاع الباحث اكتشاف جزء كبير من هذا المخطوط نفسه الذي قرظه "هبة الله بن جميع" في القرن السادس الهجري والثاني عشر الميلادي وفيه الكتابان الرابع والخامس من كتاب القانون "حزم في أول المخطوط وآخره " . وذلك في المخطوط رقم (Msar-١.٨) مكتبة جامعة كاليفورنيا بلوس انجلوس ، وفي الكتاب الخامس في هذا المخطوط في باب الترياقات والمعاجين ، دون ابن التلميذ (توفي ٥٦٠ هـ - ١١٦٥م) حاشية في الهامش أشار فيها الي اسم نبات يذكره ابن سينا في النص ، وعلق ابن التلميذ بحاشية قصيرة ثم وقع اسمه ذاكر (العبارة الآتية : بخط صاعدبن التلميذ وان كاتب هذه الاسطر ابن التلميذ هو نفسه ناسخ مادة كتاب القانون في المخطوط رقم (Msar-١,٨) وأثبت ان بهذا المخطوط ايضا جزءا كبيرا من احد مؤلفات ابن التلميذ ويطلق عليه "الحواشي علي كتاب القانون) لابن سينا ثم نشرت هذه الحواش التي كان يظن انها فقت ، مع إحالتها الي النصوص الأصلية في كتاب القانون . (٢٤:١٧٣:٢٣٦).

وفي عام ١٩٨٠ وجد مخطوطا آخر في مكتبة الجامعة بكمبردج (Browne Msp.5,10) وفيه جزء كبير من الكتاب الثالث من كتب القانون وفي هذا المخطوط كان بخط ابن التلميذ نفسه .

وفي هذا المخطوط وجدت اجزاء اخري من مؤلف ابن التلميذ والحواشي علي كتاب القانون ، لابن سينا واثبت الباحث ان ابن التلميذ كان ينسخ مادة كتاب

الثانون " من مخطوط كتبه ابن سينا بقلمه (٤٤:٢٦).

لقد طبع كتاب " القانون " عدة مرات باللغة العربية (٢٩) كما طبعت ترجمته العبرية وترجمته اللاتينية (٢٨) ، وكان هذا المحور ترتكز عليه اغلب المؤلفات ، ومناهج التعليم الطبية وبقي عدة قرون مصدرا تستند اليه المعاهد والجامعات في الشرق وفي اوروبا الغربية . وكان العلماء في القرون الوسطي يجلون ما غمض من الكلام ويعتبرونه سموا في التعبير . (٢٥٣:٥).

وفي نفس الدراسة التي قام بها البير زكي اسكندر اوضح ان ابن سينا ترك لنا مقالا في سيرته الخاصة ، وقد طبع هذا المقال عدة مرات باللغة العربية ، كما ترجم الي اللغة الانجليزية (٣٠).

مما سبق يتضح أنه :

قدر لابن سينا ان يرتفع بالطب الاسلامي الي الذروة ، كما قدر لكتابه القانون ان يصبح المرجع الاساسي للدارسين من بعده وحول ذلك يقول الدكتور /سيد حسين نصر : "بلغ الطب الاسلامي مع الرازي وإبن سينا الذروة وأصبح مرتبطا بكتابات هذين الرجلين في صورته المحددة التي أصبح علي الاجيال التالية من طلاب الطب وممارسيه ان يأخذوا بها . وقد أصبح دراسته ومنهجه الهدف الذي يوجه اليه كل ما اشتملت عليه مناهج الدراسة الطبية ، وعلي الرغم من ظهور كثير من الموسوعات الطبية الهامة في قرون لاحقة باللغتين العربية والفارسية ، فقد ظل " القانون " محتفظا بمكانته الرفيعة . (٢١١:٣٠-٢١٢).

المنطلق الرابع :

إنجازات ابن سينا في بعض مجالات الصحة العامة والتربية الصحية :-

بإستعراض ما سبق تري الباحثة ان ابن سينا كان له الفضل الأكبر في إثراء مجالات الصحة العامة والتربية الصحية ، حيث تتلخص نظرة الطب في رأيه بالنظر الي جسم الانسان من عدة وجوه ، فهو ينظر اليه من حيث العناصر التي يتألف منها ، ومن حيث التشريح ، ومن حيث وظائف اعضائه ، ومن حيث الصحة والمرض ، ومن حيث الأطعمة والاشربة والحمية ، ومن حيث الأدوية ، وهو يري ان ثمة عوامل تؤثر في عملية التوازن الخاصة بإخلاط الجسم ، ويرجع اختلاف الأمزجة الي اختلاف الأجناس البشرية او الي البيئة او المناخ او السن او الجنس (الذكورة أو الأنوثة) ، وعلي الطبيب ان يضع في اعتباره هذه الاختلافات التي تعد عوامل خارجية . (٨٣:١).

ويعرف ابن سينا الصحة بأنها : "ملكة او حالة تصدر عنها الأفعال من الموضوع لها سليمة " .(١٦٩:٢٠). وقد ظلت الصحة تعرف تعريفا سلبيا بأنها غياب المرض ، حيث وضعت هيئة الصحة العالمية ١٩٤٨ تعريف للصحة بأنها تمام العافية الجسمانية والعقلية والاجتماعية وليست الخلو من المرض ، وبالرغم من ان هذا التعريف أعطي الصحة بعدا انسانيا ينبع من المعتقدات والتقاليد والقيم المتعارف عليها في المجتمع ، بالاضافة الي المفاهيم الاخري ، إلا أنه يعتبر قاصرا حيث يعطي الصحة تصورا ماديا ، فهو يهتم بصحة الانسان البدنية ويهمل صحة الأديان ، وذلك من منطلق ان الروح لا وجود لها ولا اعتبار طالما انها لا تخضع للتجارب العملية وهو التصور الذي يقوم عليه العلم التجريبي الحديث .

وفيما يلي بعض مجالات الصحة العامة والتربية الصحية التي تناولها الطب السيناوي :-

- **الرعاية الصحية للامهات والاطفال :**

لعل من أهم ما أوضحه ابن سينا في كتابه " القانون " عن تدبير الأم الحامل والمولود . ما ذكره عن ضرورة ان يكون بين الحمل والحمل ثلاث سنوات او سنتان علي الاقل حرصا علي صحة الأم والطفل معا ، وكلما زاد عدد مرات الحمل ارتفع مدي الخطر ، وان السن المثلي للحمل المأمون بين سن العشرين والخامسة والثلاثين وان ما يحدث من حمل قبل أو بعد هذه السن يعرض الأم والجنين للخطر واحتمال حدوث تشوهات أو وفيات للأجنة . وهذا ما أكدته الأبحاث العلمية الحديثة.(٩١:١)

وذكر ابن سينا منع الحمل في امرأة صغيرة حيث يكون الوضع بالنسبة لها خطرا ، وأوصي من بين الوسائل بالفصل السريع بين الشخصين ، كما تطرق الي أهمية الرضاعة الطبيعية للمولود والأم ، وقام بدراسة الطمث وما يعتري الارحام من الشقوق والبثور والقروح ، وزاول علاج العقر ، وعسر الحمل ، وتتبع اسباب الاسقاط ، وتدبير المولود ووصف العمليات الجراحية في التوليد (٩٠:١) ولعل في مقدمة المشكلات المتعلقة بالأمومة في العالم الاسلامي في عصرنا الحديث ارتفاع نسبة وفيات الأمهات في المجتمع الاسلامي بالمقارنة بنسبتها في الدول المتحضرة وذلك ما تقرره الأرقام الاحصائية الرسمية لهيئة الصحة العالمية ، ويرجع ذلك الي اسباب عديدة أهمها ان الأم لم يتوافر لها القدر الكافي من الرعاية والخدمات الصحية والاجتماعية علي المستوي المعياري ، كما أشارت الأبحاث العلمية الحديثة الي اهمية الرضاعة الطبيعية للأم والطفل وهذا يتفق تماما مع ما ذكره ابن سينا في هذا الصدد . (٤٤١:١) .

٢- الأمراض وصحة البيئة :-

تطرق ابن سينا في كتابه القانون الي الأمراض بأنواعها المختلفة ، بإعتبار ان المرض حالة غير طبيعية تصيب أعضاء الجسم ، وأعطي إرشادات محددة تهدف الي سلامة المسلم والمجتمع سواء في مجال العدوي ، أو صحة البيئة ، أو التغذية ، أو النظافة الشخصية وهذه لا تختلف عما يقوله عالم في العصر الحديث عن مسببات الأمراض ، ووسائل مكافحتها (٥٩:٤) وأوضح انه يجب علي المريض ان يتماسك ويتحمل بحيث لايكون المرض العضوي سببا في تولد المرض النفسي او الاضطرابات العضوية النفسية ، بل ان صلابة النفس كثيرا ما تساعد علي شفاء المرض الأصلي . (٦٠:٤) .

والطب السيناوي طب وقائي من أهم أسسه بل عنصره الأساسي هو الوقاية خير من العلاج ، ودعا الي تطبيق أسس الرعاية الصحية الثلاثة: الوقاية ، والعلاج ، والتأهيل . (٦٠:٤) فالمسلم مطالب بحفظ صحته وصحة مجتمعه بوقاية نفسه من الأمراض . بل وتوفير الصحة الأيجابية بمفهومها الحديث . كما تطرق ابن سينا الي أهمية النظافة الشخصية والنظافة العامة في المسكن والطرقات ، وإتباع العادات الصحية السليمة في المأكل والمشرب ومحاربة العادات البيئية الضارة ، ويتفق هذا مع الأبحاث العلمية الحديثة في ان كثيرا من الأمراض ينتقل عن طريق تلوث البيئة كمرض البلهارسيا والإنكلستوما . ويرجع الفضل الي اكتشاف المرض الأخير (الانكلستوما) الي ابن سينا وليس العالم الايطالي . دوبيني "Dobeni" الذي جاء ذكره في القرن الثاني عشر علي انه المكتشف الحقيقي لهذا المرض .(١٩٣:١٩) وفي مجال صحة البيئة ذكر ابن سينا ان عدم التوازن بين الكائنات الحية والبيئة ناتج عن التلوث في الهواء والماء والتربة . ويتفق هذا مع ما ما أثبتته الأبحاث العلمية في ان التلوث الذي اصاب البيئة الطبيعية له نتائج خطيرة علي الصحة البدنية والعقلية للانسان (١٢٤:١) .

وطبقا لتعاليم الاسلام فان الله جعل لكل داء دواء ، وهذا يعني أنه يجب علينا الاستفادة من كل وسائل العلاج المتاحة . والعلاج الذي نحن بصدده هنا قد يتم عن طريق التمرينات الرياضية أو الروحية أو التكيف الغذائي ، او المستحضرات الطبية ، او العلاج الإشعاعي أو أي توليفة من هذه الوسائل (٥١:١).

وتري الباحثة ان التمرينات الرياضية هي افضل الطرق للمحافظة علي الصحة واكتساب العافية ، فالرياضي لديه المقدرة علي التغلب علي الامراض . بصورة أفضل من غيره ، كما ان تأهيله اسهل وفترة نقاهته اسرع ، كماان ممارسته للتدريب في الهواء الطلق والنوم مبكرا تجعله اقل تعرضا لبعض الامراض ، كما ان الرياضي لا يشكو من امراض سوء التغذية (السمنة) وأمراضها

مثل القلب ، والصدر والروماتيزم ، وغيرها . وكذلك فإن اللياقة البدنية تقلل من فرصة الاصابة بضيق الشريان التاجي والذبحة الصدرية . كما ان ممارسة الرياضة تجعل الرياضي يهتم اهتماما شديدا بالنظافة الشخصية للتخلص من الأتربة والعرق الذي يعيش عليه انواعا من البكتيريا والطحالب والذي يسبب بعض الروائح وخاصة في أماكن معينة من الجسم كالأبطين والفخذين والقدمين (قدم الرياضي) . ويهتم الرياضي بصحة الآخرين بتطبيق القواعد والاصول الصحية السليمة التي تتفق وتعاليم الاسلام . وأخيرا فان ممارسة الرياضة تحظر استعمال العقاقير والمنشطات لما لها من آثار ضارة ومدمرة علي الصحة العامة والنفسية ومن ثم خطورة التعود عليها والدخول الي دائرة الإدمان كما ان ممارسة تعاطي هذه الادوية بهدف الغش هو الخطوة الاولي في الطريق الي الإنحلال الخلقي في الرياضةوإنكار الخلق المتحضر المتمدن . وهذا يتعارض مع أخلاقيات وتعاليم الدين الاسلامي .

الاستنتاجات :

باستعراض الابحاث العديدة التي تناولت الطب السيناوي تتضح الحقائق الآتية :-

١- ان للمسلمين تراثا عظيما في مجال الطب ، وان هناك العديد من الاطباء والعلماء والمفكرين المسلمين الذين لهم الفضل علي الطب الغربي الحديث .

٢- انه بفضل تعاليم الاسلام اكتشف علماء المسمون اكتشافات هائلة افادت منها اوربا الكثير فيما بعد .

٣- ان ابن سينا في كتابه " القانون في الطب " اعتمد علي الملاحظة الموضوعية والتجربة في تحري الحقائق والقوانين والنظريات الطبية .

٤- ان ابن سينا ساهم في كفاح الانسانية ضد المرض . وانه لم يماشي مع كل ما سبقوه من الاطباء والمفكرين السابقين ، بل نجد عنده النقد الحاد بالاضافة الي تمتعه بالاستقلال في الرأي وعدم التشبث الأعمي باقوال القدماء . اي تفضيل التجربة علي النظرية .

٥- ان مخطوطات كتاب القانون لابن سينا ساعد علي نشر جوهر علوم العرب العظيمة في اوربا الغربية بصورة سريعة ومدهشة .

٦- تميز الطب السيناوي والطب الاسلامي بالاعتماد علي التجربة ، والخبرة الشخصية ، والبعد عن الخرافة والاساطير ، ولذلك استمر وجوده حتي اليوم ، وكون القواعد الاساسية لكثير من مدارس الطب المعاصرة . فساهم

في ظهور النهضة الأوربية الحديثة والتقدم العلمي لاكثر من خمسة قرون .

التوصيات :-

مما سبق عرضه في هذه الدراسة وما شملته عن حياة ابن سينا الطبيب الذي كان له تأثيره العظيم علي الطب العالمي بجميع انواعه واشكاله وفروعه . توصي الباحثة بما يلي :-

١- ان التراث الاسلامي يظل اغنى مما كشف عنه حتي الآن ، وما زال يدعو الي المزيد من البحث والتنقيب ، فهو كنز لم تنفذ ذخائره ، ومورد لم يجف معينة ، ومستودع لم يبح بكل اسراره ، ولو غاص فيه الباحثون ثم عرضوا صيدهم علي ميزان البحث العلمي التجريبي الحديث فالمبشرات كثيرة بأنه يستطيع ان يعين عالمنا المعاصر علي بعض مشكلاته المرضية التي لم تحل .

٢- الدعوة لتشجيع دراسة التراث الطبي الاسلامي ضمن غيره من انواع التراث العلمي الاسلامي ، وتيسر تناوله للدارسين .

٣- مناشدة المتخصصين في تاريخ الحضارات وتاريخ العلوم وتاريخ الطب في العالم اجمع ، ان يسلطوا علي تاريخ الحضارة الاسلامية ضوء الحقيقة .

٤-تشجيع البحوث العلمية التجريبية الاكلينيكية والمختبرية التي تكفل التوثيق العلمي العصري لتراثنا الاسلامي مع تقديم ثمرات هذه البحوث في مجال علاج الامراض او التوقي (الوقاية) منها الي الاسرة الانسانية جمعاء .

٥- احياء العلوم الطبية والاسلامية في مجال التراث والبحث العلمي والتحقيق والتطبيق .

٦- تشجيع إقامة الندوات والمؤتمرات الطبية الاسلامية لتجديد واحياء ذكري العلماء والاطباء والمفكرين المسلمين امثال ابن سينا والذين اثروا في ميدان الطب والعلوم المختلفة تخليدا لذكراهم وعرفانا بفضلهم .

المراجع العربية :-

١- احسان دوغروماجي - ابن سينا - بعض الحقائق عن حياته واعماله ، المؤتمر العالمي الاول عن الطب الاسلامي - العدد الاول - الطبعة الثانية - الكويت ، ١٩٨١.

٢- احمد عبد الحي ،تراث الاسلام في الجراحة الحديثة ، المؤتمر العالمي الاول عن الطب الاسلامي ، العدد الاول ، الطبعة الثانية ، الكويت ، ١٩٨١.

٣- احمد عروة ، فسيولوجيا التنفس عند ابن سينا ، المؤتمر العالمي الاول عن الطب الاسلامي ، العدد الاول ، الطبعة الثانية ، الكويت ، ١٩٨١.

٤- اكمل الدين احسان أوغلو ، كلمة مندوب الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، المؤتمر العالمي الاول عن الطب الاسلامي - العدد الاول - الطبعة الثانية ، الكويت ، ١٩٨١.

٥- البير زكي اسكندر ، دراسة تحليلية لمؤلفات الرازي وابن سينا - مع الاشارة الي اثر كل منهما في تقدم البحوث الطبية - المؤتمر العالمي الاول عن الطب الاسلامي - العدد الاول ، الطبعة الثانية ، الكويت ، ١٩٨١.

٦- المرجع السابق ، مخطوط رقم ٢٣/٤٥٥٤، مللي ملك ، ص٢١،ص٣.

٧- المخطوط السابق ، ص٢٢،س١١.

٨- المخطوط السابق ، ص٢٢،س٣٨

٩- المخطوط السابق ، ص٢٧، س٣٩،

١٠- القفطي ، عيون الانباء ، ج١،ص٣،س١٢-١٦.

١١- القفطي ، عيون الانباء ، ج٢،ص١٩،س٣٢.

١٢- المهدي بن عبود - ابن سينا ومدرسته الشمولية من زاوية الطب المؤتمر العالمي الاول عن الطب الاسلامي ، العدد الاول ، الطبعة الثانية ، الكويت ، ١٩٨١.

١٣- سيرسر ، عملية شق القصبة الهوائية ، عبر الفي سنة من التاريخ - نشرة ندوة سيبا ، جزء ١٠، رقم ١٩٦٢،٢،ص٧٨.

١٤- عبد القادر عبد الجبار - " جراحة الجمجمة والدماغ عند الأطباء العرب "- المؤتمر العالمي الاول عن الطب الاسلامي - العدد الاول - الطبعة الثانية - الكويت ١٩٨١.

١٥- عبد الوهاب عزام ، يحيي الخشاب ، " جهاز مقاله " - (نسخ وتصحيح) القاهرة - ١٣٦٨هـ ، ١٩٤٩م ، ص١١٩.

١٦- عقيل مختار أوزدين ، عدد خاص بابن سينا - مجلة eriacud euveral ، يونيه ، ١٩٥١ ص ١١٠:١١٩.

١٧- محب الدين الخطيب ، ابن سينا (أسباب حدوث الحريق) - منقول عن نسخة المتحف البريطاني رقم ١٦٦٥٩، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥٢ ، الفصل الثالث ، ص٨.

١٨- مصطفي احمد شحاته " الحنجرة وامراضها في الطب الاسلامي " المؤتمر العالمي الاول عن الطب الاسلامي - العدد الاول الطبعة الثانية - الكويت ١٩٨١.

١٩- محمد سعيد ، سعدية راشد ، " ابن سينا - طبيب وفيلسوف عالم " ، المؤتمر العالمي الاول من الطب الاسلامي - العدد الاول - الطبعة الثانية - الكويت ١٩٨١، ص١٦٣.

٢٠- محمد عبد الهادي ابو زيده - الطب السيناوي - المؤتمر العالمي الأول عن الطب الاسلامي - العدد الأول - الطبعة الثانية - الكويت ١٩٨١.

٢١- محمود عبد الفتاح عنان ، " السباحة في التراث الاسلامي " قراءة في مخطوطة الباحة في السباحة للامام جلال الدين السيوطي ، بحوث تربوية - رابطة التربية الحديثة العدد الثاني ، القاهرة ، فبراير ١٩٨٩.

٢٢- م.ك . حسين ، م.دالتنير ، " الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب "، نشرته المنظمة العربية للتربية والثقافة - جامعة الدول العربية ١٩٧٨، ص٥٨:٩٧.

المراجع الاجنبية :

23- Abu AlI: Al Hussain Bin Abdullah IBN Sina (37048 AH) Kitab-al-Qanun,Original Manuscript in Khuda Baksh oriental public Library, Patna,India.

24- A.Z.Iskander, An autograph of Ibn al Tilmidh,s, Marginal commentary on Ibn Sina,s cannon of medicine, in le Museon,90 (1.2),177-236,1977.

25-Iskandar, Acatalogue of Arabic Manuscripts,PP.26,35-37.

26- Another fragment from the autograph of Ibn - al - Tilmidh,s ,Marginal commentary on Ibn Sina,s canon of medicine, to be printed in Bulletin of the school of oriental and African studies,44(1)..(1980).

27- Ibn - al- Nafis in Dictionary of scientific biography,vol9,New York,1974,PP,602606

28- Ha-Canon Ha-gadol- Avicenna- Naples1491.

29- Liber dictus Elhavid id est continens artem medicinae (transl,by feragius,ed.by J. Britannicus). Bresci,1486.

30- Nasr seyyed Hossein: Science and civilization in Islam, Harvare University press, Cambridge,Massachusetts,1968,P.217.212.